

# أليس في بلاد العجائب.. حكمة المسنين وخيال الأطفال

المؤلف عالم رياضيات انطوائي خجول يوقع باسم مستعار تجنباً للشهرة



جونى ديب يحيى «أليس في بلاد العجائب»

قالت أليس بشيء من الخجل "يمكنني أن أخبرك بمغامراتي.. بدءاً من هذا الصباح، لأنه لا فائدة من العودة للامس، لأنني كنت وقتها شخصاً آخر.."



لويس كارول  
نحن لا ندرج تحت نمط واحد  
من التفكير فلكل منا أهواؤه  
ومبوهه التي تختلف  
من شخص إلى آخر

إشراقات كثيرة لا تمسك من ذاكرة كل من قرأ الرواية أو شاهد الفيلم الذي نقل عوالم أليس الساحرة بكل مهارة وإتقان كذلك المقطع الذي تقول فيه أليس "منذ اللحظة التي سقطت فيها بحفرة الأرنب تلك، قيل لي ما الذي يفترض علي القيام به ومن يفترض بي أن أكون؛ لقد تقلصت، تمددت، خدشت، وحشرت في إبريق شاي.. لقد اتهمت بانني أليس، واتهمت بانني لسيت أليس، ولكن هذا حلمي أنا.. وأنا سوف أقرر إلى أين سأذهب من هنا.."

نهاية الرواية تتحدث عن روعة عالم الخيال، الذي يمكن اللجوء إليه دائماً عندما يكون الواقع قاسياً ومملًا. الأخت الكبيرة تستعمل خيال أختها لتهرب من واقعها الجاف ونهاية الرواية تكون معها مثل هذا المقطع "وبيئنا كانت تنصت، وأن يبدو أنها تنصت، دبست الحياة في جميع أنحاء المكان المحيط بها، بوجود المخلوقات الغريبة التي كانت في حلم أختها الصغيرة.."

ويستمر كارول في سرد المدهش "هكذا جلست، مغلقة عينيهما، وهي نصف مصدقة أنها في بلاد العجائب، على الرغم من معرفتها بأن كل ما عليها أن تفتحها مرة أخرى، فيتحوّل كل شيء إلى واقع ممل.."

وأخيراً، صورت لنفسها كيف أن هذه الأخت الصغيرة نفسها، ستكبر لاحقاً وتصبح امرأة، وكيف ستحتفظ طوال سنوات نضجها بالقلب البريء المحب الذي كان لها في طفولتها، وكيف ستجمع حولها أطفالاً صغاراً آخرين، وتحكي لهم الكثير من الحكايات الغريبة.

الغريب بين عالم الحلم (اللاوعي) وعالم الواقع.

وعلى قارئ "أليس في بلاد العجائب" أن يبذل جهداً مضاعفاً في فك بعض الرموز والأحاجي وكأنه إزاء كتاب طواسين أو استشرافات.. كيف لا ونحن نتعامل مع حلم استثنائي.. حلم طفل كتبه عالم رياضيات متدين وخجول، ربما يأتينا الجواب على جملة هذه الألغاز من الرواية نفسها، وذلك في قول أليس إنه ليس بالضرورة لكل شيء معنى، وكذلك نسمع كلام الدوقة التي تبحت بهوس عن المعنى، لكن من الصعب إيجاد معنى لما تقوله.

ومن المثير للإعجاب في هذه الرواية الأسيرة، شجاعة الصغيرة أليس، وخوضها لمغامرة متعبة وشيقة دون استسلام أو خوف. كل عناصر الفرجة والمتابعة والإنارة والتشويق متوفرة في هذا العمل الذي كتب قبل اختراع آلة السينما، فكانت مؤلفه قد أعده خصيصاً لاستوديوهات والت ديزني، وما تميز به من خيال يسلب ألباب الصغار والكبار.

حكمة الكبار وتعلّمهم ممزوجان بخيال الصغار ومشاكساتهم.. هذا ما يلخص هذه الرائعة الأدبية التي صنفت من أجمل 100 كتاب خيال في تاريخ البشرية، ووصلت شهرة كاتبها إلى كافة طبقات المجتمع الإنجليزي حتى أن الملكة فيكتوريا أعلنت إعجابها بالكاتب وأديه. ويجب ألا يغيب عن أذهاننا هنا أن المؤلف عالم رياضيات أي أنه سيد من يعرف بالمنطق والتفكير العلمي، يضاف إلى ذلك تدينه الذي أضفى عليه مسحة إنسانية أما عن ولعه بالفوتوغراف فامر زاد من إتقانه لجماليات التفاصيل التي تبدو نادرة في مؤلفه.

ويظهر البعد التأملي والجانب الزاهد للمؤلف ذي الرؤية الوجودية المتعمقة في رسالة وجهها دودغسون لصديقته السيدة سيموندز عام 1891 "هنالك الكثير من الناس الذين تستميلهم فكرة أن يصدق فيهم الناس وأن يكونوا من المشاهير والعديد من الناس لا يفهمون تفوري الشديد من أن أكون محط أنظار الآخرين وأن تلاحقني العيون حينما أذهب.."

ويضيف قائلاً "نحن لا ندرج تحت نمط واحد من التفكير فلكل منا أهواؤه ومبوهه التي تختلف من شخص لآخر.. كما اعتد عن استلام أي رسائل من الغرساء وأكد أنه سيقيم بإرجاعها لمرسليها دون فتحها أو معرفة محتواها كما لو كانت رسائل موجهة إلى عنوان خاطئ.."

هذا الحس الإنساني العميق ترجمه المؤلف عبر شخصية أليس، إلى رؤية تسمو فوق الصغائر، وتتخذ من الحلم ملاذاً بل واقعا يمكن أن يتحقق مجرد الموجود في حلم أليس، نجد أنها حين عادت لواقعها، عاملتها بالتواصل الإنساني بحب ولفظ وعناية، ليظهر التناقض

إلى أن العدوانية هي غريزة بداخل كل إنسان، يكبر معها ويحاول ضبطها، لكن في الطفولة تتسبب هذه الغريزة بقلق للطفل، وهو غالباً ما يشعر أن العالم حوله مؤذ وخياله يمتلئ بالشخصيات المخيفة كالوحوش أو المجرمين.

الرواية تظهر العدوانية من وجهة نظر طفل وكيفية رؤيته للعالم، كما تبين وسيلة الدفاع النفسية التي يستعملها غالباً الأطفال في مواجهة قلقهم، حين يصرحون أنهم بأنفسهم أبطال لا أحد يستطيع أن يهزمهم. يظهر هذا حين يكبر حجم أليس لتصبح عملاقة، وتصبح كل الشخصيات حولها غير مؤذية.

وتبين إخصائية المعالجة النفسية بعض الخصائص الإيجابية وكذلك السلبية في الرواية أليس تجاهل للقول أيها، أو تسال أسئلتها، أو تعبر عن معارضتها، برغم الجهود لإسكانها، ووصفها كثيراً بالغباء، هي لا تستسلم، وتبقى روحها متمردة ورغبة في الفهم والبحث عن المنطق.

## حلم استثنائي

وتنبه الباحثة إلى أن الرواية تبدأ مع صعوبة أليس في ضبط نفسها، مما يتسبب لها بالمشاكل. فهي تقول كل ما يخطر ببالها، دون التفكير بتأثيره على السامع. أحياناً عدم قدرتها على ضبط نفسها يخيف باقي الشخصيات منها ويتركها وحيدة. في الفصول الأخيرة من الرواية، نرى أن أليس قد تعلمت التعاطف وضبط النفس، وهي تستطيع أن تفكر بتأثير أقوالها على من يسمعها وتتوقف باللحظة المناسبة عن الكلام.

الرواية في أعماقها مجموعة تاملات ورؤى وجودية صبغت بمنطق الأطفال ذوي الخيال الجامح والمتوثب لمغامرة المعرفة والاكتشاف، عبر فضاء تخييلي يقارب بين المفاهيم ويعيد اكتشافها على قواعد جديدة ومبتكرة. البعد الدرامي حاضر بشدة في الرواية من خلال الصدمات والأضداد، لكن روح الطفل في عدم الذهاب نحو الأقصى في الإبداع، هي التي تحسم الأمور باتجاه السلام الداخلي.. ولعل هذا يعكس واضحا التربية والنشأة الدينية لمؤلف الرواية، وروحه الانطوائية فالعلاقات بين شخصيات الرواية تتسم بشكل أساسي بالصراع الشديد، إذ نأرا ما نجد في الرواية شخصية تقدم المساعدة للآخرى أو تساهم بشكل ما في راحتها النفسية أو الجسدية.

وعلى الرغم من هذا، لم تتسبب أي شخصية لآخرى بالأذى الفعلي، وكان الشخصيات كلها تملك حصانة نفسية تجعلها لا مبالية أو متقبلة لذاتها وبلاختر. مقابل هذه العلاقات الموجودة في حلم أليس، نجد أنها حين عادت لواقعها، عاملتها بالتواصل الإنساني بحب ولفظ وعناية، ليظهر التناقض

دار بين أليس والفار الذي كان يجلس بجوارها، قال الفار النعسان "أود لو لم تعترضيني هكذا، فانا لا أكاد أتذكر من التنفس"، ردت أليس بدواعة شديدة "لا حيلة لي فانا أنمو.."

كما يتم استعمال بعض التنمر والعنف الكلاسيكي بين الشخصيات التي تصف بعضها بالغباء وتتقاذف الإتهامات في ما بينها، دون أن ننسى بعض الترهيب والوحشية كحكم الملكة الدائم بقطع رؤوس الشخصيات، أو ذلك المشهد الذي ترمي فيه الخادمة بصحن على طفل رضيع فيقطع أنفه، لكن يظهر لاحقاً أنه لم يحصل له شيء. الملكة في الرواية تهدد ولا تنفذ، ولم يسبق أن قطع رأس أحد ما بالفعل، مما يجعلنا

نرى أن أليس قد تعلمت التعاطف وضبط النفس، وهي تستطيع أن تفكر بتأثير أقوالها على من يسمعها وتتوقف باللحظة المناسبة عن الكلام.

الرواية في أعماقها مجموعة تاملات ورؤى وجودية صبغت بمنطق الأطفال ذوي الخيال الجامح والمتوثب

الرواية في أعماقها مجموعة تاملات ورؤى وجودية صبغت بمنطق الأطفال ذوي الخيال الجامح والمتوثب

الرواية في أعماقها مجموعة تاملات ورؤى وجودية صبغت بمنطق الأطفال ذوي الخيال الجامح والمتوثب

الرواية في أعماقها مجموعة تاملات ورؤى وجودية صبغت بمنطق الأطفال ذوي الخيال الجامح والمتوثب

الرواية في أعماقها مجموعة تاملات ورؤى وجودية صبغت بمنطق الأطفال ذوي الخيال الجامح والمتوثب

الرواية في أعماقها مجموعة تاملات ورؤى وجودية صبغت بمنطق الأطفال ذوي الخيال الجامح والمتوثب

"عشبة سامة" فطردتها. وجدت أليس نفسها في مكان شديد الظلام فبدأت بالبكاء وأرادت العودة إلى بيتها.. في تلك الأثناء ظهر "القط المتخفي" وأرشدها إلى قصر الملكة التي ستساعدنا على إيجاد طريقها إلى المنزل.

حين وصلت أليس إلى باحة القصر فوجئت بأوراق اللعب تصبغ الأزهار البيضاء باللون الأحمر إرضاء للملكة. أتت الملكة رفقة الحراس فالتفتت أن الأضهار بيضاء الأصل فامرت بقطع رؤوس جميع من كان هناك بمن فيهم أليس، لحسن الحظ قام الملك بابقاع الملكة بالغفو عن الصغيرة، قامت الملكة وأليس بلعبة مراهنة انتهت بمحاكمة أليس بسبب "إهانتها للملكة" والتطاول عليها. بدأت الفتاة بالركض وركضت الملكة وأوراق اللعب خلفها.. بعد كرف، والت ديزني عام 1951 وحظلي، ولا يزال، بنسبة مشاهدة عالية ونال الكثير من الجوائز والتقدير.

كانت الأخت الكبيرة في الحقيقة تقرأ لأليس من كتاب التاريخ، لكن هذه الأختيرة لم تكن تصغي لأن الكتاب كان مملًا بالنسبة لها فهو خال من الصور والحوارات ثم إن طريقها في السرد لم تكن مشوقة بما فيه الكفاية، الأمر الذي يجعل أليس الصغيرة تشرد بخيالها وتستحضر عالماً موازيا وأكثر ثراء وغبابة وسحراً مما تنصت إليه.

بدأت أليس تتخيل عالمها الخاص أين يكون "المنطق غير منطقي وغير المنطقي منطقي"، وفق فلسفتها الخاصة والمتفردة. وفتاة ظهر أرنب أبيض يرتدي معطفاً ناصعاً من الفرو. أخذ الأرنب ساعة من جيبه وهرع مستعجلاً، ولكن فضول أليس جعلها تلحق به لمعرفة سبب استعجاله، فتبعته إلى داخل جحره لكنها سرعان ما بدأت بالبكاء لأنها وجدت نفسها أمام باب مغلق، لكن وبمساعدة "الباب المتكلم"، قامت بالاهتداء إلى الثرب من قنينة صغيرة، مما جعلها تصغر في الحجم وتغير من الباطن.

وجدت أليس نفسها في غاية كبيرة مترامية الأطراف، وبينما كانت تتجول فيها باحثة عن "الأرنب الأبيض" إذ بها تقابل توأمين. بعد التعارف، بدأ هذان الأخيران بالغناء وقص الحكايات. لكن أليس غافلتها وهربت ثم عادت للتحول في الغابة إلى أن سمعت أصوات غناء ورقت فتبعت تلك الأصوات إلى أن وصلت إلى بيت "صانع القبعات المجنون" حيث كان يقيم حفلة شاي، تمت دعوتها إلى شرب الشاي. وسط أحداث هذه الحفلة الغريبة والمليئة بالأحداث البعيدة عن المنطق السائد، ظهر الأرنب من جديد، ولكنه سرعان ما رحل مستعجلاً فعدت للحاق به مرة أخرى.

وصلت أليس إلى حديقة أزهار ناطقة فبدأت بالحديث والغناء مع الأزهار لكن بعد مدة، شكت في أمرها واعتبرتها

الرواية في أعماقها مجموعة تاملات ورؤى وجودية صبغت بمنطق الأطفال ذوي الخيال الجامح والمتوثب

الرواية في أعماقها مجموعة تاملات ورؤى وجودية صبغت بمنطق الأطفال ذوي الخيال الجامح والمتوثب

الرواية في أعماقها مجموعة تاملات ورؤى وجودية صبغت بمنطق الأطفال ذوي الخيال الجامح والمتوثب

قراءة المئة وخمسين عاماً تمر اليوم على أكثر قصص الأطفال غرابية وإدهاشاً عبر التاريخ. فتن بها الصغار والكبار، ترجمت إلى كل لغات العالم بما فيها العربية، تبتتها السينما والمسرح، وكافة الفنون البصرية كالأفلام الأنيمة والسلاسل والرسوم المتحركة، كتبت حولها الأطروحات والدراسات، ومازال المفتونون بها يقولون إنها لم توف حقها.. إنها "أليس في بلاد العجائب".



حكيم مرزوقي  
كاتب تونسي

تبدأ حكاية هذه الرواية العجيبة مع غرابية شخصية مؤلفها تشارلز دودغسون (1832 - 1898) وهو كاتب وعالم رياضيات ومصور فوتوغرافي إنجليزي. متدين وشديد الخجل والانطواء، حتى أنه، ولكثرة نفوره وتهربه من الشهرة، كتب روايته باسم مستعار وهو لويس كارول. ألف دودغسون (لويس كارول) اثنين من أشهر الكتب في الأدب الإنجليزي وهما "مغامرات أليس في بلاد العجائب" (1865) وتتمته "عبر المرآة" (1871). وترجم كتاب أليس إلى كل لغات العالم تقريباً، كما تمت طباعته بطريقة بريلى حتى يستطيع المكفوفون قراءته والاستمتاع به.

ويُحكى أن المؤلف كان في نزهة تجديف بمركب مع ثلاث من بنات صديقه هنري ليدل، في شهر أزيين، وقص عليهن هذه القصة لإضفاء جو من المتعة. واستخدم اسم أليس، البالغة من العمر 10 سنوات، للإشارة إلى فتاة وقعت في جحر الأرنب. وبعد ثلاثة أعوام نشرت القصة تحت عنوان "مغامرات أليس في بلاد العجائب" للكاتب لويس كارول.

## قصة الحكاية

القصة الأصلية التي كتبها كارول، عن فتاة متشاكسة تتعرض للارتعاب بسبب فضولها وتمردها على الأنماط التقليدية المعتادة، وهي لا تتعد كثيرا عن أجواء فيلم الرسوم المتحركة الذي أخلص للرواية الأصلية، وأنتجته شركة والت ديزني عام 1951 وحظلي، ولا يزال، بنسبة مشاهدة عالية ونال الكثير من الجوائز والتقدير.

كانت الأخت الكبيرة في الحقيقة تقرأ لأليس من كتاب التاريخ، لكن هذه الأختيرة لم تكن تصغي لأن الكتاب كان مملًا بالنسبة لها فهو خال من الصور والحوارات ثم إن طريقها في السرد لم تكن مشوقة بما فيه الكفاية، الأمر الذي يجعل أليس الصغيرة تشرد بخيالها وتستحضر عالماً موازيا وأكثر ثراء وغبابة وسحراً مما تنصت إليه.

بدأت أليس تتخيل عالمها الخاص أين يكون "المنطق غير منطقي وغير المنطقي منطقي"، وفق فلسفتها الخاصة والمتفردة. وفتاة ظهر أرنب أبيض يرتدي معطفاً ناصعاً من الفرو. أخذ الأرنب ساعة من جيبه وهرع مستعجلاً، ولكن فضول أليس جعلها تلحق به لمعرفة سبب استعجاله، فتبعته إلى داخل جحره لكنها سرعان ما بدأت بالبكاء لأنها وجدت نفسها أمام باب مغلق، لكن وبمساعدة "الباب المتكلم"، قامت بالاهتداء إلى الثرب من قنينة صغيرة، مما جعلها تصغر في الحجم وتغير من الباطن.

وجدت أليس نفسها في غاية كبيرة مترامية الأطراف، وبينما كانت تتجول فيها باحثة عن "الأرنب الأبيض" إذ بها تقابل توأمين. بعد التعارف، بدأ هذان الأخيران بالغناء وقص الحكايات. لكن أليس غافلتها وهربت ثم عادت للتحول في الغابة إلى أن سمعت أصوات غناء ورقت فتبعت تلك الأصوات إلى أن وصلت إلى بيت "صانع القبعات المجنون" حيث كان يقيم حفلة شاي، تمت دعوتها إلى شرب الشاي. وسط أحداث هذه الحفلة الغريبة والمليئة بالأحداث البعيدة عن المنطق السائد، ظهر الأرنب من جديد، ولكنه سرعان ما رحل مستعجلاً فعدت للحاق به مرة أخرى.

وصلت أليس إلى حديقة أزهار ناطقة فبدأت بالحديث والغناء مع الأزهار لكن بعد مدة، شكت في أمرها واعتبرتها

الرواية في أعماقها مجموعة تاملات ورؤى وجودية صبغت بمنطق الأطفال ذوي الخيال الجامح والمتوثب

الرواية في أعماقها مجموعة تاملات ورؤى وجودية صبغت بمنطق الأطفال ذوي الخيال الجامح والمتوثب

